المحور الثالث: ملخص العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين

ذكرنا في المحور الثاني أن الترتيبات التي أقرتها الدول المنتصـرة في مؤتمر فيينا 1815، مثلت بداية الطريق نحو الحرب العالمية الأولى، لكونها أبقت على التناقضـات/الخلافات بين وداخل هذه الدول، خاصـة اسـتمرار اللجوء إلى القوة في حل الخلافات التي كانت تنشـأ في كل مرة، رغم اعتماد سـريان نظام الوفاق الأوروبي ودبلوماسـية المؤتمرات، وكانت حرب القرم ثم حروب الوحدة الإيطالية والألمانية، أبرز مظاهر هشـاشـة أُسـس السـلام الأوروبي في فيينا، ومن جهة أخرى أدى انتقال الثورة الصـناعية إلى ألمانيا ودول أخرى غير أوروبية كاليابان فضلا عن الولايات المتحدة، وتصاعد حدة التنافس على المستعمرات، والبحث عن المكانة الدولية للقوى الجديدة إلى اختلال أسس النظام الدولي والتمهيد لنزاع عالمي غير مسبوق.

أولا: الحرب العالمية الأولى

*** تفسير نشوب الحرب العالمية الأولى**

في تفسـير الحرب العالمية الأولى، يمكن أن نجمِل مجموعة من العوامل التي تراكمت مع مرور الوقت لتصبح سببا منطقيا لاحتمال اندلاع الحرب العالمية الأولى، والتي تتمثل فيما يلي:

1/ حالة عدم الاسـتقرار المتصـاعدة بين الفاعلين الأسـاسـيين في النسـق الدولي، وذلك لعدة أسـباب؛ من بينها:

- الانقسـام الذي عانت منه ألمانيا منذ صلح ويسـتفاليا وبسـعي حثيث من فرنسـا وبريطانيا لتأكيد استمرار هذا الانقسام، لذلك تفاقمت النزعة التوسعية الألمانية لموازاة القوى الأمبريالية الأخرى.
- عدم الثقة والخوف من فرنسـا وبريطانيا وباقي الدول القوية، حيث تعاظم ذلك الخوف مع إعلان الوفاق الثلاثي الذي يضم فرنسا وبريطانيا وروسيا.
- التراكمات التي خلفتها تطورات العلاقات الدولية منذ حرب القرم، وما لحقها من أزمات وحروب داخل أوروبا وخارجها.
- الطرق التي كانت تعالج/تنتهي بها الحروب والأزمات، خاصـة بين الدول الكبرى، حيث كانت دائما تبقي على أسـباب وبذور أزمات وحروب مسـتقبلية أكثر عنفا، نتيجة تولد النزعة الانتقامية لدى الدول المنهزمة. (فرنسا وألمانيا).

2/ تغير بنية النسـق الدولي وتبلور الاسـتقطاب الثنائي بين ألمانيا وبريطانيا، والذي تبلور في كتلتين: دول الحلف الثلاثي ودول الوفاق الثلاثي. في هذا السـياق، يذهب البعض إلى أن البنية الثنائية للنسـق الدولي غالبا ما تتميز بالتوتر والصـراع بين القطبين الذين يعملان باسـتمرار على تدعيم قوتيهما وتحالفاتهما والتأهب للحرب في أي وقت. ومن ناحية أخرى، يذهب **كينيث والتز** إلى أنه كلما زاد عدد الفاعلين الدوليين زادت حدة الصراعات وتفاقمت المشكلات الدولية بين هذه الوحدات، وبالتالي فإن احتمالات الحرب تفوق احتمالات الصراع، وذلك ما ميز الواقع الدولي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

3/ تصاعد الروح القومية، والتي برزت أهميتها خاصة بعد تحقيق الوحدتين الإيطالية والألمانية، في مقابل استمرار السياسات التسلطية للأنظمة الإمبراطورية، خاصة الإمبراطورية النمساوية المجرية التي كانت خليطا غير متجانس من القوميات الصربية، الكرواتية، السلافية، الإيطالية، ... وغيرها، الأمر الذي قاد نحو نشوب حرب البلقان الأولى والثانية وزيادة العداء بين دول المنطقة، حتى وصل الأمر إلى اغتيال ولي العهد النمساوي، لينتهي باندلاع الحرب العالمية الأولى.

إضافة إلى ما سبق، يفسر **جوزيف ناي** اندلاع الحرب العالمية الأولى من خلال ثلاث مستويات هي: مستوى النظام الدولي، مستوى البيئة الداخلية، مستوى الأفراد (شخصيات القادة والزعماء).

فعلى المستوى الدولي، تغيرت شبكة الفاعلين الأساسيين مع صعود ألمانيا بعد الوحدة، حيث أدى الصعود الألماني إلى اختلال آلية توازن القوى مع تراجع تأثير القوى التقليدية مثل فرنسا والامبراطورية النمساوية، كما تراجع الدو البريطاني كعامل مهم في الحفاظ على استقرار توازن القوى الأوروبي، الأمر الذي أدى إلى اتجاه البنيان الدولية نحو الثنائية القطبية المبنية على تكتل الدول الأساسية في تحالفين رئيسيين (الوفاق الثلاثي والتحالف الثلاثي)، والذين كانا طرفي الحرب العالمية الأولى.

أما على المستوى الوطني (المجتمع الداخلي للوحدات الدولية)، فقد أدى صعود القومية إلى زيادة تأثير المجتمعات الداخلية في التوجهات السياسية للدول، كما كانت التعددية القومية التي ميزت بشكل خاص الإمبراطورية النمساوية والدولية العثمانية، وراء العديد من الأزمات الداخلية التي غذّت حروب البلقان قبل أن تكون أحد الأسباب المباشرة لاندلاع الحرب العالمية الأولى. فقد أدى نجاح الحركات القومية في البلقان إلى طرد الأتراك من جهة، لينتقل التهديد إلى الإمبراطورية النمساوية-المجرية من جهة أخرى، خاصة من قبل صربيا التي كانت تمثل نقطة استقطاب خارجية للقومية السلافية. وهنا، يذهب جوزيف ناي إلى أن النمسا خاضت الحرب ضد الصرب؛ ليس بسبب مقتل ولي العهد فرانز فرديناند، بل للقضاء على التهديد الصربي الذي يمثل أحد أهم أقطاب القومية المعادية للإمبراطورية النمساوية-المجرية.

من جهة أخرى، يشير المؤرخ الألماني فريتز فيشر، إلى تأثير السياسة الداخلية الألمانية على توجهاتها الخارجية، حيث يذهب إلى أن المشكلات الاجتماعية الألمانية، كانت أحد الأسباب الرئيسية في توجه ألمانية نحو الحرب، وأن ما ما يبدو توجها نحو بسط السيطرة على العالم من طرف ألمانيا، هو في الحقيقة كمحاولة من طرف الصفوة الألمانية، لصرف الانتباه عن المشاكل الداخلية.

أما على المستوى الفردي (شخصيات القادة والزعماء)، فقد كان أغلب القادة غير مدركين ل.... ؛ حيث كان امبراطور النمسا والمجر متقدما في السن ولم يحسن التعامل مع الأحداث التي أدت إلى الحرب. أم قيصر روسيا فقد محيطه السياسي عديم الكفاءة لإدراك عواقب الانخراط النزاع العالمي. وفي ألمانيا كان القيصر يعاني من الإحساس بالنقص تجاه القوى الأوروبية الأخرى، مما جعله يكتسب عداء بريطانيا وفرنسا وروسيا.

إذن، لو أردنا أن نخلص الأسباب العميقة التي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى، نجد أنها بدأت مع التغيرات التي طرأت على تركيب توازن القوى + التغير الهام الذي ميز بعض عناصر النظم السياسية الداخلية وتعاظم قوة ألمانيا، وظهور نطام التحالف ثنائي الأقطاب (الجامد) + ظهور النزعة القومية التي ساهمت في إضعاف الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية-المجرية، وبدرجة أقل أدت السياسة الألمانية إلى عدائها من طرف بريطانيا وفرنسا وروسيا، حيث كان ذلك دافعا نحو العنف الدولي وعدم الرضا بالسلام الهش بين قطبي النظام.

*** مسارات الحرب العالمية الأولى:**

عرفت الحرب مسارين رئيسين: الأول تمثل في تفوق دول الحلف الثلاثي، وذلك من ماي1915 أكتوبر 1917، بينما المسار الثاني عرف تفوق دول الوفاق الثلاثي مع بداية سنة 1918، أين دخلت الولايات المتحدة إلى جانب الوفاق، لتنتهي الحرب باستسلام ألمانيا في 11 نوفمبر 1918.

عرفت تطورات الحرب انخراط الدول المحايدة مع بداياتها الأولى؛ فدخلت الدولة العثمانية في 1نوفمبر 1914 إلى جانب ألمانيا وحلفائها نتيجة للعلاقة الخاصة بين ألمانيا والدولة العثمانية، حيث كان الجنرال الألماني سندرز على رأس الجيش التركي، فضلا عن العداء التقليدي ضد روسيا منذ حرب القرم، كما انضمت بلغاريا أيضا إلى جانب ألمانيا من خلال المشاركة في غزو صربيا في سبتمبر 1915، طمعا في استعادة بعض الأقاليم التي خسرتها في حرب البلقان.

ومن الجانب الآخر، انضمت إلى دول الوفاق الثلاثي كل من اليابان التي أعلنت الحرب على ألمانيا في 23 أوت 1914 استنادا إلى معاهدة التحالف البريطاني الياباني 1902 عقب ما يعرف بحرب البوكسر. كما إيطاليا في 23 ماي 1915، ورومانيا التي كانت ترغب ضم الأقاليم ذات القومية الرومانية والخاضعة للسيطرة النمساوية-المجرية، ووقعت معاهدة بوخارست مع فرنسا وروسيا سنة 1916 لضمان حصولها على تلك الأقاليم، كما انضمت اليونان في جوان 1917. وأخيرا الولايات المتحدة في 02 أفريل 1917، والتي كان دخولها حاسما لصالح الحلفاء، فضلا عن أن انخراطها في الحرب كان كان أيضا مرتبطا بأهدافها في الشرق الأقصى خاصة بعد دخول اليابان.

من بين أبرز الأحداث التي شهدتها تطورات هذه الحرب، كان خروج روسيا بفعل الاضطرات الداخلية النجمة عن ما يعرف بالثورة البلشفية، التي انتهت بسيطرة البلاشفة على السلطة في روسيا بزعامة لينين 7نوفمبر 1917، هذا الأخير الذي بادر بتوقيع الهدة بين روسيا السوفييتية وألمانا في 15ديسمبر 1917. بعدها مباشرة بادرت الحكومة الروسية الجديد بإصدار قرار السلام، الذي تدعو فيه إلى بدء مفاوضات الصلح لتحقيق السلام دوون ضم أ, تعويض، كما قامت بنشر الاتفاقيات السرية التي كانت مع فرنسا

وبريطانيا حول تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية (الدعوة إلى الدبلوماسية العلنية)، كما دعت إلى إجراء استفتاء في الناطق التي تحتلها ألمانيا والنمسا والمجر، على أن يبدأ ذلك بالانسحاب من هذه المناطق.

أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق هو أن روسيا السوفييتية أدخلت مفاهيم جديدة في العلاقات الدولية المعاصرة، مثل الدبلوماسية العلنية، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ووحل النزاعات بالطرق السلمية، كما أفصحت عن بوادر الصراع العقائدي/الأيديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية، خاصة بعد نجاح الثورة البلشفية. لذلك، تعتبر نقاط ويلسون الأربعة عشر بمثابة رد فعل على "قرار السلام" الذي أصدرته حكومة لينين، وذلك لخوف الولايات المتحدة من بداية عملي الاستقطاب الاشتراكي للشعوب الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت الهيمنة الإمبريالية الرأسمالية، وهذا ما يفسر بروز الولايات المتحدة كأكبر قوة إمبريالية في العالم المعاصر.

*** النتائج العامة للحرب العالمية الأولى:**

كلفت الحربُ الدولَ المشارِكة فيها خسائر فادحة؛ بشريا وماديا. وتشير عديد الاحصائيات إلى هلاك ما بين 18 و20 مليون شخص من العسكريين والمدنيين، وأكثر من 20 مليون جريح، كما تم تخريب المدن والقرى والمزارع والمصانع وسكك الحديد في الدول التي دارت فيها الحرب، كما زاد الدين العام للدول المشاركة في الحرب مما اضطرها إلى رفع الضرائب واللجوء إلى الاستدانة الخارجية (من الولايات المتحدة)، إضافة إلى اللجوء إلى صك أوراق مالية إضافية لتلبية حاجاتها الملحة، مما أدى إلى تضخم مالي كبير في هذه الدول، ساهم لاحقا في ظهور الأزمة الاقتصادية العالمية 1929.

لقد أسفرت الحرب التي انتهت لصالح دول الوفاق، عن تغيرات عميقة في العلاقات الدولية، أبرزها:

- سقوط الامبراطوريات الكبرى والدكتاتوريات التي كانت تحكمها منذ عدة قرون.
- ظهور أول دولة اشتراكية بعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا.
- تحميل ألمانيا مسؤلية وتبعات الحرب العالمية الأولى.
  خروج فرنسا وبريطانيا كأكبر المستفيدين من نتائج الحرب.
- إبرام سلسلة من معاهدات الصلح، أبرزها معاهدة فرساي 1919.
- تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول منتصرة خاصة فرنسا وبريطانيا.
- انتقال العلاقات الدولية من المسرح الأوروبي إلى المسرح العالمي.
- انشاء عصبة الأمم في 10 جانفي 1920، كأبرز تنظيم دولي عالمي لتحقيق الأمن الجماعي.

ثانيا: الخصائص العامة للعلاقات الدولية بين الحربين العالميتين:

يمكن تلخيص أهم الخصائص فيما يلي:

- الطابع العالمي للعلاقات الدولية بعد نهاية المركزية الأوروبي، بسبب اختلال توازن القوى التقليدي، وانتقال مركز القوة والتأثير في الشؤون الدولية إلأى دول غير أوروبية.
- تزايد دور العوامل الاقتصادية في العلاقات الدولية، مع ظهور المنظومة الاشتراكية والمطالبة بدور أساسي للدولة في الحياة الاقتصادية، خاصة بعد ظهور الأزمة الاقتصادية العالمية 1929.
- ظهور الحركات والنظم الشمولية في بعض الدول (الشيوعية في روسيا، النازية في ألماني، الفاشية في إيطاليا)، وتحكمها في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتعارضها مع باقي النظم الديموقراطية في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة.
- تزايد تأثير الحركات القومية في العالم، ومعارضتها لمصالح القوى الاستعمارية، مما ساهم في ظهور العديد من الدول المستقلة.
- بداية ظهور التنظيمات الدولية العالمية على غرار عصبة الأمم، ومحكمة العدل الدولية، كآليات جديدة للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين وحل النزاعات بين الدول بالطرق السلمية.
- اختلال توازن القوى لصالح فرنسا في أوروبا، واليابان في شرق آسيا، والولايات المتحدة عالميا خاصة على الصعيد الاقتصادي.

ثالثا: العلاقات الدولية بين الحربين العالميتين من منظور التحليل النسقي

1/ من حيث وحدات/فواعل النسق الدولي: نتيجة لتداعيات وتسويات الحرب العالمية الأولى، عرف النسق الدولية على مستوى وحداته تغيرا كبيرا لم يشهده من قبل، حيث زالت الامبراطوريات التقليدية ومعها أنظمة الحكم السُّلالية، لتنشأ على إثر ذلك عشرات الدول على أساس قومي خاصة في البلقان وأوروبا الشرقية، إضافة إلى العديد من الدول الأسيوية والإفريقية التي استقلت عن الاستعمار الأوروبي. ومن جهة أخرى برزت الولايات المتحدة كأحد الدول الجديدة المؤثرة على الساحة الدولية العالمية، إضافة إلى اليابان في شرق آسيا، واتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. كما يُعتبر ظهور عصبة الأمم كفاعل جديد في العلاقات الدولية فوق مستوى الدول، من بين أهم التطورات على مستوى الفواعل.

2/من حيث بنية النسق الدولي: تحول البنية الثنائية قُبيل وخلال الحرب العالمية الأولى إلى البنية الأحادية بسيطرة الحلف المنتصر، غير أن التنافس وعدم الثقة بين الدول المنتصرة، سمح بالعودة التدريجية للدول المنهزمة، ليتجه النسق الدولي نحو التعددية القطبية التي فرضتها عودة الاتحاد السوفييتي وألمانيا، بالإضافة إلى التأثير الياباني والأمريكي، إلى أن تبلور قبيل الحرب العالمية الثانية نظام ثنائي الأقطاب، طرفاه الحلفاء ودول المحور.

وقد تمثلت قيم النسق الدولي في مبادئ الأمن الجماعي بدل توازن القوى، حيث كانت أسس السلام التي وضعتها/فرضتها الدول المنتصرة هشة في مواجهة النزعات الانتقامية للدول المنهزمة. فلم عرف النسق الدولي الاستقرار بسبب تعارض قيم وتوجهات وحداته بعد الحرب.

3/من حيث الأُطر المؤسسية (القانونية والتنظيمية): تمثلت الأُطُر القانونية في صلح فرساي والمعاهدات المرتبطة بتسويات الحرب العالمية الأولى بين الدول المنتصرة والدول المنهزمة (معاهدة سان جرمان 1919 مع النمسا والمجر، معاهدة تريانون 1920 والتي أكدت تقسيم الإمبراطورية النمساوية المجرية إلى عدة دول على أساس قومي، معاهدة نايي مع بلغاريا، معاهدة سيفر 1920 مع الدولة العثمانية، ...). أما الأُطر التنظيمية فتمثلت في عصبة الأمم كأول تنظيم دولي عالمي وآلية فوق دولية لتحقيق الأمن الجماعي وردع الدول المعتدية والمهددة للاستقرار الدولي، كما تم في إطار العصبة انشاء محكمة العدل الدولية الدائمة 1921، مهمتها تسوية النزاعات الدولية عن طريق التحكيم الاختياري. ومع ذلك لم تكن هذه الأُطر كفيلة بتحقيق الغايات التي جاءت من أجلها، بقدر ما كانت آليات لتكريس مصالح الدول المنتصرة، لذلك ظهر فشلها الذريع في عدم قدرتها على منع اندلاع الحرب العالمية الثانية.

4/ العمليات السياسية/التفاعلات الدولية السائدة: طغى في البداية العامل الاقتصادي على اهتمامات الدول بسبب الانشغال بإعادة الإعمار، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية العالمية التي أدت إلى تحولات أيديولوجية في المنظومة الرأسمالية، حيث سمحت بتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وذلك ما مهد لبروز الايديولوجيات الشمولية المنافسة والمناقضة للرأسمالية. لقد وصف إدوارد كار هذه المرحلة بـ: "أزمة العشري سنة"، حيث كانت بمثابة المرحلة الجنينة للحرب العالمية الثانية، نتيجة لتعارض مصالح الدول المنتصرة فضلا عن استمرار العداء والنزعة الانتقامية مع الدول المنهزمة، مما أدى إلى عودة الاستقطاب الثنائي الحاد بعد التعافي من آثار الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية، وذلك أمام هشاشة وضعف نظام الأمن الجماعي الذي ترعاه عصبة الأمم.